

استلام الحجر والحكمة من تشريعه

السنة النبوية لذلك ما كان عمر -رضي الله عنه- يزاحم؛ لأنه قال له النبي -صلى الله عليه وسلم- { إني أراك قويا فلا تُزاحم على الحجر، إن وجدت سعة فاستلم، وإلا فكَبِّرْ وامض } فكان لا يزاحم، وأما ابنه عبد الله فإنه كان يزاحم ويبقى إلى أن يُقَبِّلَ الحجر، أو يستلمه، وروى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: { إن استلامهما يَحُطُّ الخطايا } أي: استلام الركنين يحط الخطايا. وروى عمر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما كان عند الحجر، وأخذ يستلم الحجر، قال: { يا عمر هاهنا تُهَرِّقُ العبرات، هاهنا تراق العبرات }؛ يعني أن هذا موطنٌ من مواطن البكاء لله سبحانه وتعالى، فقال: { هاهنا تسكب العبرات } فاستلام الركنين. الركن اليماني إذا قدر فإنه يستلمه بيده، بأن يضع يده عليه، ولا يُكَبِّرُ ولا يمسحه، ولا يتمسح به، ولا يقبله، إنما يستلمه بيده- كاستلام المسلم الذي يسلم عليه. أما الركن الذي فيه الحجر الأسود، فإنه إذا قَدَّر وضع عليه شفتيه من غير تصويت، فإذا لم يقدر عليه فإنه يستلمه بيده، ثم يُقَبِّلُ يده، فإذا رُجِمَ وكان معه عصا مَسَّهُ برأس العصا، وَقَبَّلَ العصا، فإذا لم يقدر فإنه يكبر ويمضي، ولا يلزمه أن يزاحم- إذا كان في الزحام مشقة أو تَعَرُّضٌ لملامسة النساء، أو ما أشبه ذلك. وبذلك يكون قد عظم شعائر الله، مع علمه بأن هذا من شعائر الله تعالى. رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: " الحجر الأسود يمين الله في الأرض، مَن استلمه أو قَبَّلَهُ فكانما قبل يمين الله تعالى في الأرض ". أي أن الله تعالى جعل هذا الحجر كشعار لمعاهدة العبد لربه، ومبايعته لربه. أي من استلمه فكانه بايع ربه، وكأنه عاهد الله. على أي شيء تكون هذه المعاهدة؟ إنها معاهدة الله تعالى على ألا يعصيه، وعلى ألا يخرج عن طواعيته سبحانه وتعالى، وعلى أن يبقى على عبادته، ولا يعصيه. يقول الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } أي أن الذين يبايعون النبي -صلى الله عليه وسلم- يعاهدونه على ألا يُشْرِكُوا، يعاهدونه على ألا يفسقوا، يعاهدونه على ألا يقتلوا، وألا يزنوا وألا يسرقوا وألا يعصوا الله تعالى في معروف، ولا يعصوا النبي -صلى الله عليه وسلم-. فذلك الذين يستلمون الحجر، أو يشيرون إليه، يعتبرون أنفسهم كأنهم يبايعون الله، كأنهم يعاهدون ربهم، يقول أحدهم: يا رب، أعاهدك على أن أطيعك، أعاهدك على ألا أخرج عن طواعيتك، أعاهدك يا رَبِّ على أن أبقى على طاعتك وعبادتك مهما استطعت، فإذا وفى بذلك فقد أوفى: { فَمَنْ تَكَتَّ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } هكذا يكون المسلم، عليه أن يكون من الذين يعاهدون الله تعالى ويوفى بما عاهد الله عليه. هكذا ذكروا أن الحكمة في تقبيله أن الله تعالى جعله بمنزلة يمينه الذي من بايعه، فكانما بايع الله تعالى، وكانما استلم يمين الله، أو عاهد الله تعالى؛ فلا بد أن يوفى بهذا العهد، وأن يبقى عليه.